الهوية السياسية عند الشباب الجزائري
في الفضاء السبراني: بين تنوع الرهان ومعوقات الانتقال

أ.سهالي محمد*

*****

فرضت ضرورة الاجتماع السياسي للإنسان للتعبير عن آرائه والدفاع عن مصالحه، الحاجة إلى نشوء فضاء مشترك، يمكنه من التفاعل مع الآخر في المسائل التي تتعلق بالشأن العام. إنه الفضاء العام والذي وإن تباينت مكوناته باختلاف العمران والتنوع الحضاري تتقاسم وظيفة تبادل الآراء وتتمظهر فيه اختيارات الأفراد التي تتعلق بالمستقبل الجماعي لهم. لكن في حالة اختلاله الوظيفي واقتصاره على الاستعمالات الاستهلاكية والترفيهية. تصبح مسألة البحث عن فضاءات أخرى ضرورة ملحة ومن الأهمية بما كان في ظل ثورة رقمية يشهدها العالم ولا حدود لانخراط الشباب فيها.

انطلاقا من هنا، هل يمكن فعلا التحدث عن إمكانيات أخرى قادرة على إبراز فضاء آخر يكفل حرية التعبير والتواصل مع الأخر، الموافق والمخالف للرأي على حد سواء؟ ما هو الرهان في هذا الفضاء ؟ ما هي المعوقات التي من شأنها أن تكبح صيرورة الانتقال من الفضاء العام التقليدي إلى هذا الفضاء؟ وتحُول دون تحقيق رهانات الشباب في هذا الفضاء الجديد، تمكنه من ترتيب الأوليات والقضايا الموجودة داخل الأجندة السياسية الخاصة بالمجتمع؟

1- تحديد المفاهيم:

1.1-مفهوم الهوية:

"الهوية خاصة بالإنسان والمجتمع، الفرد والجماعة. هي موضوع إنساني خالص. فالإنسان هو الذي ينقسم على نفسه، وهو الذي يشعر بالمفارقة أو التعالي أو القسمة بين ما هو كائن وما ينبغي أن يكون، بين الواقع والمثال، بين الحاضر والماضي، بين الحاضر والمستقبل... الإنسان وحده هو الذي يمكن أن يكون على غير ما هو عليه...فالهوية تعبير عن الحرية، الحرية

* أستاذ علم الاجتماع، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية – جامعة سيدي بلعباس.

Abstract: This article examines the obstacles that prevent the transition from traditional public space to cyberspace ، as another space that shapes the political identity of Algerian youth in the digital world.

In this point of view ، is it possible to mention other possibilities capable to put another space that guarantees freedom of expression and communication with the other ، both corresponding and contrary to opinion? What is the challenge in this space? What are the obstacles that hinder the transition from traditional public space to this space? Can young people realize these challenges in this space ، allowing them to classify priorities and issues on the political agenda of society? Can we do without the real space and replace it with a new space ، or can it only be an extension of the real public space?

Keywords: Identity - Political Identity - Youth - Cyberspace - Elite

الذاتية.الهوية إمكانية قد توجد وقد لا توجد.إن وجدت فالوجود الذاتي،و إن غابت فالاغتراب"[1].

تعدّد الطرح الذي يتناول مفهوم الهوية يستلزم منطقيا تعدد المدلول النظري لهذا المفهوم، وسنعتمد على أطروحة الوصل المركب، يقول إدغار موران(Edgar Morin):"إنني أتموقع فعلا خارج الطائفتين المتصارعتين. فالواحدة تسحق الاختلاف عن طريق إرجاعه إلى الوحدة البسيطة والأخرى تحجب الوحدة لأنها لا ترى سوى الاختلاف، لكن لنحاول دمج حقيقتي هاتين الطائفتين، أن نتجاوز الاختيار بينهما... استبدال منظومة الفصل، الاختزال، إضفاء البعد الأحادي، بمنظومة الوصل التي تسمح التمييز من دون الفصل وبالتجميع من دون المطابقة أو الاختزال "[2].

في ساق هذه الأطروحة، يرى لبييانسكي (E.M.Lipiyansky) أن:" الهوية سواء كانت فردية أو جماعية، إنما تدرك في إطار ما هو متماثل ومختلف في نفس الوقت، متميز ومتشابه. في إطار هذه الثنائية تتأسس الهوية، ومن الضروري أن تبقى المفارقة قائمة، وألا يقع السعي إلى تجاوزها لفائدة أحد طرفي الثنائية وإلا فهو السقوط في أحد الطرفين: واحدية مغلقة أي اغتراب في الذات، أو اندماج واغتراب في الآخر وكلاهما استلاب وفقدان للهوية: ذوبان في المتماثل من ناحية، وتفكيك للجسم الاجتماعي من ناحية أخرى"[3].

2.1- الهوية السياسية:

"نتاج فعلي لتأثيرات خارجية: تنشئة، ممارسة وظيفة سياسية، الوعي بوضعية هيمنة، وتأثيرات ظرفية وتاريخية أخرى. فلا يمكن التكلم عن هوية سياسية حتى وإن كانت بداية جنينية دون مواجهة مع قوة مضادة... معارضة أقلية لأغلبية، أغلبية مهيمنة أمام أقلية مهيمنة، المناضل داخل الفعل النضالي... فالهوية السياسية هي القدرة الفردية المكتسبة أثناء الفترات الأولية للتنشئة والمشاركة الفعالة مستهدفة الفعل ضمن سياق وضعية سوسيوسياسية... تمثل الهوية السياسية البعد الرمزي الذي يسمح بمعرفة الفاعلين السياسيين وكذا تمييز بعضهم عن بعض من خلال خطاباتهم،استراتجياتهم أو ممارساتهم. تظهر الهوية السياسية في الفضاء العام أين تتم المواجهات والاختلافات من أجل السلطة، وبالتالي إلى الشروط التي عبرها يتم أخذ السلطات أو ممارستها"[4].

[1] حنفي حسنين حسن، الهوية، المجلس الأعلى للثقافة، ط1، القاهرة، 2012، ص11.

[2] الواكدي جليلة المليح، مفهوم الهوية، -مساراته النظرية والتاريخية في الفلسفة،في الأنثروبولوجيا وفي علم الاجتماع-، مركز النشر الجامعي، تونس، 2010، ص163.

[3] المرجع السابق، ص165.

[4] Malek Chebel ، La formation de l'identité politique ، Editions Payot et Rivages ، Paris ، 1998 pp148-150 .

3.1- الشباب:

الشباب أحد المفاهيم الصعبة التحديد، لتباين المجتمعات والظروف المحيطة بهذه الشريحة العمرية من جهة، ولاختلاف وجهات نظر المختصين من جهة ثانية. ويمكن إجمال مختلف التعريفات التي تناولت هذا المفهوم من بيولوجية، قانونية وسيكولوجية على النحو التالي:

- مرحلة عمرية تتراوح بين 15-30 سنة، وهي مرحلة اكتمال النمو الجسمي والعقلي على نحوي جعل المرء قادرا على أداء وظائفه المختلفة.
- تحدد مرحلة الشباب على أساس اكتمال نمو البناء العضوي والوظيفي للمكونات الأساسية لجسم الإنسان.
- حالة نفسية لا علاقة لها بالعمر الزمني تظهر من خلال الشعور بالحيوية والحماس والحركة والطموح والأمل في الحياة.

إلى جانب التعريفات السالفة الذكر، سنحاول في هذه الورقة البحثية التركيز على مفهوم الشباب من الناحية السوسيولوجية وإن كان المفهوم صعب التحديد لاختلاف المدارس والتوجهات النظرية ضمن الحقل المعرفي نفسه،لكن الضرورة المنهجية تفرض على الباحث تبني إطار نظري يمكنه من فهم وتحليل الظاهرة.

1.3.1- مفهوم الشباب حسب الاتجاه السويولوجي:

يمكن اعتبار أن التقسيمات العمرية مسألة اعتباطية على حد حد تعبير بيار بورديو (Pierre Bourdieu): " إنه تناقض باريتو القائل إننا لا نعرف في أي عمر تبدأ الشيخوخة، كما أننا لا نعرف في أين يبدأ الثراء، في الواقع إن الحدود بين بين الشباب والشيخوخة في جميع المجتمعات رهان صراع... فحالتا الشباب وحالة الكهولة ليستا معطيات، لكنهما أسستا اجتماعيا من خلال الصراع بين الشباب وكبار السن... فالعلاقة بين العمر البيولوجي والعمر الاجتماعي معقدة جدا... ولكي نعرف كيف تقسم فيه الأجيال، يجب معرفة القوانين الخاصةبعمل الحقل ورهانات الصراعات والتقسيمات التي يحدثها هذا الصراع."[1]

فبالنسبة لبيار بورديو الشباب ما هو إلا مجرد كلمة رافضا بذلك التعريف الذي يستند إلى التحديد العمري. فالفئة العمرية هي بالضرورة نتاج اجتماعي يتشكل ويتطور عبر سياقات تاريخية ذات صلة بأوضاع اجتماعية معينة.

أما كارل منهايم(Karl mannheim) فيرى أن: "مفهوم الجيل أساسي ويستمد أهميته من الإمكانات التي يتيحها لتحليل وفهم التحولات المتسارعة في المجتمع، ما يميز جيلا ما ليس العوامل الداخلية التي تربط بين أفراده، وإنما هو وجود عامل خارجي يعطي للجيل هويته، وهو

[1] بيار بورديو، مسائل في علم الاجتماع، ترجمة: هناء صبحي، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة، ط1، أبوظبي، 2012، ص ص231-232.

ما يطلق عليه الحدث المولد، أي الإشكالية التاريخية التي تولد جيلاً معيناً وتعطيه ذاتيته، وتحدد معاصرته، وتشكل ذاكرته الجماعية"[1].

4.1- الفضاء السبراني:

من الإسهامات البارزة التي أعادت تشكيل حدود تعريف الفضاء والتي تتقاطع مع موضوع الدراسة، يمكن الاعتماد على: (ليفيبرLefebvre" والذي أثمرت محاولته تحديد ثلاثة ميادين للفضاءات السائدة في العالم هي: الفضاء الفزيائي التقليدي-الفضاء العقلي- الفضاء المعلوماتي. ويختلف كل ميدان من حيث الخصائص التي تحدد هويته)[2].

فالفضاء السبراني أو الرقمي أو الافتراضي أو المعلوماتي عبارة: "عن حلقة تحاول جذب الفضاء العقلي إلى الفضاء الفزيائي عبر معالجة رقمية تسعى إلى عولمة الفضاء العقلي لكي تمتد حدوده على رقعة العالم الفزيائي من خلال استعارة مفاهيمه التقليدية في بناء المفاهيم الفريدة للفضاء المعلوماتي. ويمثل هذا الفضاء محاكاة رقمية لمفرادات العالم الفزيائي مثل:أروقة التسوق، وغرف الدردشة،والسياحة الافتراضية، والمكاتب، والكتب الرقمية، والمصارف الالكترونية. ويتم التعامل مع الوحدات الرقمية المستحدثة التي تتميز بكونها عبارة عن بيئات افتراضية بالغة التعقيد"[3].

النخبة:

ينطوي مفهوم النخبة حسب بارتو(Pareto):" على تقدير للنجاح الذي يؤدي فيه الفاعلون الاجتماعيون نشاطاتهم... ولا يمكن الحديث عن النخبة إلا في داخل أحد فروع النشاط... ثمة إذن عدد من النخب بقدر ما يكون لدينا من فروع النشاط"[4].

تعرف النخبة أو الصفوة أيضا على أنها: "أقلية ذات نفوذ تسود جماعة أكبر حجما... إنها فئة قليلة داخل المجتمع،لها مكانتها الاجتماعية العالية، وتؤثر أو تحكم بعض أو كل شرائح المجتمع... ويشير المصطلح أيضا إلى الفئة العليا في أحد ميادين التنافس... فالمجتمع حسب موسكا(Mosca) ينقسم إلى قسمين، يمثل الأول الطبقة الحاكمة أو الصفوة الحاكمة والتي تكون في العادة أقلية، ويمثل الثاني الطبقة المحكومة وتمثل الأكثرية، بذلك فإن الصفوة تتحدد طبيعتها من حيث أنها تمتلك مقاليد السلطة،في حين أن الطبقة المحكومة بالمقابل لا تمتلك شيئا"[5].

---

[1] وليد المطري،سوسيولوجيا الأجيال،https://www.ida2at.com/sociology-of-generation بتاريخ: 23 أكتوبر 2016 .

[2] الرزو حسن مظفر، الفضاء المعلوماتي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، 2007، ص ص75-76.

[3] الرزو حسن مظفر، مرجع سبق ذكره،ص77.

[4] ريمون بودون وفرانوا بوريكو، المعجم النقدي لعلم الاجتماع، ترجمة: سليم حداد، ديوان المطبوعات الجامعية، ط1، 1986، ص553.

[5] مولود زايد الطيب، علم الاجتماع السياسي، منشورات السابع من أبريل، ط1 ، ليبيا، 2007، ص199.

2- رهانات الشباب بين التنوع ومعوقات الانتقال:

تتعد وتتنوع رهانات الشباب في الفضاء السبراني، ويمكن من خلال كتاب[1] قضايا الشباب العربي في الفضاء الرقمي في العام 2010، والذي يوضح ترتيب القضايا المثارة، عبر الفضاء الرقمي:

- الثقافة والأدب والفكر كاهتمام بالشأن العام.
- السينما والأغاني كشأن خاص
- قضايا أخرى يختلط فيها الشأن العام مع الشأن الخاص الرياضة، والمطربون والمطربات، والطب والصحة والأفلام والسينما، والتلفزيون، الإعلام وحرية التعبير، والتربية، والتعليم، والعلوم، والمؤسسات السياسية، وقضية فلسطين، وحقوق الإنسان، واتفاقيات السلام، والبيئة، والموارد، وغيرها. الأدعية، والأناشيد، الاقتصاد الإسلامي، والأنبياء والرسل، والتطرّف الديني، والتوحيد، والخطاب الديني، والخلافة، والربا، والرقية الشرعية، والسنة النبوية، والشريعة الإسلامية، والفتاوى الدينية، الكتب المقدسة، والمذاهب الدينية، والوحي، والأماكن المقدسة، والمباني الدينية، وتطبيق الشريعة، وتغيير الديانة، وشخصيات دينية، وعبادات وقضايا دينية عامة.

لكن ما تركز عليه هذه الدراسة من جملة هذه الرهانات هو رهان الهوية السياسية عند الشباب الجزائري في الفضاء السبراني، وعرض تجليات هذه الهوية من خلال أربعة مستويات تتمثل في: الرأي، الالتزام، الاعتقاد ثم الانخراط.

وفي المقابل المعاوقات التي تواجه هذا الرهان للانتقال من الفضاء العام التقليدي إلى الفضاء السبراني كنوع من الأغورا(Agora) السياسية.

1.2- المستوى الأول (الرأي):

التأسيس للمواطنة يبدأ بتشكيل هوية سياسية أساسها التمايز والاختلاف في الرأي من خلال تبني خطاب "كاختيار رمزي للتعبير عن الرأي يتمظهر في السياق الانتخابي أو أثناء سبر للرأي، أو في سياق ممارسات رمزية كل يوم عبر المحادثة والمناقشة. فالرأي يكسب الفرد هوية سياسية يتجلى تبنيها له في التواصل والتخاطب"[2].

وتلعب وسائل الإعلام المختلفة دورا رئيسا في توعية أفراد المجتمع وبصفة خاصة الشباب في بلورة أو صناعة رأي عام موضوعي حول مختلف القضايا. فالاهتمام بالشأن السياسي وقضايا الشأن العام يشكله الجو العام الذي يصنعه الحدث،ليصبح اتجاه عام لا يعد أن يكون رأيا مستقرا نابعا من قناعات فكرية أو مؤطرة من قبل تنظيمات سياسية أو مدنية.

[1] الرأي-الثقافي/قضايا-الشباب-العربي-في-الفضاء-الرقمي-في-العام-http://alrai.com/article/50426/2010 ،بتاريخ:14أبريل2012.

[2] Bernard Lamizet ، Politique et identité ، Presses universitaires ، Lyon ، 2002 ، p15

2.2- المستوى الثاني (الالتزام):

والذي يمثل شكلا أكثر نشاطا من الرأي لأنه نابع من ممارسة فعالة، "فالفرد لا يقتصر على النشاط الرمزي فقط ولكنه يرافق اختياره بممارسة تجعله يتواصل مع فاعلين آخرين كتجربة المواجهة في الفضاء العام.ومن خلال الالتزام يكتسب الفاعل وعي واقعي"[1]. يكبح الانتقال إلى هذا المستوى عائق نفسي-اجتماعي. فالحرمان بمختلف أشكاله من عاطفي، جنسي، الاعتراف بالمكانة، وتقدير الذات من قبل الآخر ولد إحباطا لدى فئة عريضة من الشباب وليس من الصعب فك شفرته استنادا إلى نوع الاستهلاك ومحتوى اهتمامات غالبية هذه الفئة في الفضاء السبراني. إضافة إلى الرغبة في الكشف عن الحياة الحميمة من خلال تغييب الهوية وطمس معالمها والتواجد بدون اسم معرف(Anonymat)، أو تزييف الهوية(Pseudonyme)، أو استعمال أكثر من حساب. فالفضاء السبراني فضاء مفتوح للتمرد على الخجل والانطواء. فالفضاء السبراني يمكِّن مستعمليه من "إطلاق المكبوتات الجنسية والإفصاح عن المشاعر الجريئة المرفوضة في الحياة الواقعية بسب الكثير من الضوابط الأخلاقية والدينية والثقافية لا سيما في العالم العربي... من البديهي أن ينال هذا الجزء المكبوت من حياة هذه المجتمعات جزء كبيرا من اهتماماتهم ووقتهم وممارساتهم...يصبح الأنترنت منفذا للكثيرين ومصدرا للتفلت من القوانين والأنظمة والأعراف والتحرر من القيود القيمية والأخلاقية والدينية"[2].

3.2- المستوى الثالث (الاعتقاد):

يشكل الاعتقاد ترتيب من نوع آخر،"فهو يمثل التزام دائم،فالاعتقاد يجعل من الالتزام السياسي والمؤسساتي يرتكز على مثل غير قابلة للنقاش"[3]. فعدم وضوح ملامح تبني اتجاه أو طرح سياسي معين تترجمه ثقافة الانتظار التي تميز هذه الفئة وغياب روح المبادرة لديها نتاج طبيعة عمل مؤسسات التنشئة الاجتماعية.

4.2- المستوى ارابع(الانخراط):

يمثل الانخراط أرقى أشكال الهوية السياسية ويمثل الانخراط "واقع الفرد في التحمل الكامل للوساطة التي يحملها. فالانخراط يمفصل بين البعد الواقعي للممارسات والالتزام وبين البعد الرمزي للاختيارات والتمثلات. كما أنه يمفصل بين البعد المفرد للختيارات المسؤول عنها الفرد والبعد الجماعي للمؤسسات والحركات التي هو مسجل فيها والمعروف ضمنها.فالتأسيس الكامل لهوية الفرد كفاعل سياسي يتم عبر الانخراط"[4]. يعيق الانتقال إلى هذا المستوى ضعف

[1] Ibid ، p15.

[2] نديم منصوري، سوسيولوجيا الأنترنت، منتدى المعارف، ط1، بيروت، 2014، ص ص133-135.

[3] Bernard Lamizet ، OP.CIT ، p15.

[4] Ibid ، p15.

النخبة السياسية والثقافية،كما يقول ناصر جابي (يغلب عليها الطرح الإيديولوجي بشكل عام وعدم الاتفاق على مشاريع تغيير ممكنة التحقق،وهو وضع يزيدها ضعفا على ضعفها الأصلي)[1].

فضعف وجود النخب السياسية في الفضاء السبراني والاقتصار على الحضور المناسباتي تفرضها ضرورة مختلف الاستحقاقات السياسية لا غير، وعدم مسايرة أدوات التواصل السياسي لديها للتطور التكنولوجي،الذي قطعت فيه الفئة الشبانية أشواطا كبيرة .

هذا التأخر يضعف قدراتها على المشاركة في تأطير هذه الفئة،وتكوينها سياسيا، وتعزيز انخراطها في الحياة العامة والمشاركة في تدبير الشأن العام،وتكريس المواطنة الفعلية القائمة على المساواة في الحقوق وأداء الواجبات.

يتيح ويعزز الفضاء السبراني للشباب قياسا إلى القدرات والإمكانات التي يمتلكونها:

- إمكانية إبداء الرأي، وتعزيز المواقف من خلال الالتزام ثم الاعتقاد في مثل ومبادئ ثابتة للوصول إلى الانخراط كواقع للتعبير عن هوية سياسية، يحقق من خلالها الشباب التمايز عن باقي الفواعل السياسية الأخرى.
- الانخراط في البناء التنموي الديمقراطي من خلال تحفيزهم.
- تعزيز مصالحته مع العمل الحزبي الملتزم والهادف للمشاركة في تدبير أمور الشأن العام،بعيدا عن كل أشكال الأبوية والتسلط، والتي لا تنسجم في غالب الأحيان مع المتطلبات الاجتماعية لهذه الفئة والمتسمة بالتغير المستمر.

في الأخير يمكن القول أن الفضاء السبراني وما يمكن أن يتيحه من فرص وإمكانات كمنبر للتعبير الحر عن الرأي والمشاركة في الحياة السياسية. ومن المفروض هو امتداد للواقع، ولا يمكنه بأي حال من الأحوال أن يعوض الفضاء الواقعي أو أن يكون بديلا عنه.

قائمة المراجع:

1. بورديو بيار، مسائل في علم الاجتماع، ترجمة: هناء صبحي، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة، ط1، أبوظبي، 2012.
2. حنفي حسنين حسن، الهوية، المجلس الأعلى للثقافة، ط1، القاهرة، 2012.
3. ريمون بودون وفرانوا بوريكو، المعجم النقدي لعلم الاجتماع، ترجمة: سليم حداد، ديوان المطبوعات الجامعية، ط1، 1986.
4. زايد الطيب مولود، علم الاجتماع السياسي، منشورات جامعة السابع من أبريل، ط1 ، ليبيا،2007.
5. الرزو حسن مظفر، الفضاء المعلوماتي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، 2007.
6. منصوري نديم، سوسيولوجيا الأنترنت، منتدى المعارف، ط1، بيروت، 2014.
7. المطري وليد، سوسيولوجيا الأجيال، https://www.ida2at.com/sociology-of-generation، بتاريخ: 23 أكتوبر2016.

[1] ناصر جابي، الحركات الاحتجاجية في الجزائر (كانون الأول/يناير2011)، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 13/02/2012.

8. الواكدي جليلة المليح، مفهوم الهوية، -مساراته النظرية والتاريخية في الفلسفة، في الأنثروبولوجيا وفي علم الاجتماع-، مركز النشر الجامعي، تونس، 2010.

9. جابي ناصر، الحركات الاحتجاجية في الجزائر (كانون الأول/يناير2011)، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 13/02/2012.

10. الرأي-الثقافي/قضايا-الشباب-العربي-في-الفضاء-الرقمي-في-العام-2010http://alrai.com/article/504262 ، بتاريخ: 14أبريل2012.

11. *Lamizet Bernard ، Politique et identité ، Presse universitaires ، Lyon ،2002.*

12. *Malek Chebel ،La formation de l'identité politique ، Editions Payot et Rivages ، Paris ،1998.*